

BBC

Eastern Ukraine



Russia-Ukraine tensions

UK PM: Russia has completely torn up international law

## تظهير صورة "الجيش الروسي المنهزم" في الإعلام الغربي

الكاتب: زينب فرحات



المصدر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير



تاريخ الإصدار: 30 نيسان / أبريل 2022



## زينب فرحات - مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

منذ إعلان الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» شن عملية عسكرية في أوكرانيا، يخوض الإعلام الغربي، حملة إعلامية موازية، مثلت بذاتها جبهةً للدول الجائرة ضد روسيا. ولتُضاف في مدى تأثيرها وفعاليتها إلى الإجراءات الاقتصادية العدوانية، ومساعي عزل روسيا عن جميع دول العالم.

في الحملة الإعلامية المُنهجة، اعتمدت وسائل الإعلام الغربية استراتيجية الرأي الواحد في مقابل حجب الرواية الروسية. رؤية واحدة لا تزال سائدة حتى الآن، تنقل للعالم مجريات الحرب الروسية - الأوكرانية وخلفياتها وتبعاتها كما يريد الغرب، لا كما يعلنها الروس وتوضحها المعطيات. ومن هنا، كان لا بدّ من الإضاءة على أدوات الحرب الإعلامية التي تستخدمها وسائل الإعلام الغربية لتشكيل صورة "الجيش الروسي المنهزم"، من خلال دراسة عينة من المعلومات التي تنشرها BBC News، هيئة الإذاعة البريطانية، في أثناء تغطية الحرب الروسية - الأوكرانية.

### حجب الصوت الروسي

كان الرئيس الروسي واضحاً منذ البداية، إذ أعلن أن أهداف الحرب في أوكرانيا ترتبط بتحقيق الأمن القومي الروسي، ذلك أن تصاعد النزاع بين البلدين مرده بالدرجة الأولى إلى محاولات ضم أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي «الناتو»، و«الإتحاد الأوروبي»، وإعلان كييف نيّتها بامتلاك سلاح نووي. وهي إشارات قرأها الروس بأنها مساعي لاستخدام المساحة الأوكرانية كجبهة للهجوم على روسيا، يتم التمهيد لها منذ عام 2014. بالتالي، دخلت روسيا إلى أوكرانيا لمواجهة حلف «الناتو» و«الإتحاد الأوروبي» كخطة استباقية. هذه المعطيات التي تبرز العملية الروسية في أوكرانيا، وبغض النظر إذا كانت صحيحة أم لا، وإذا كانت مقنعة أم لا، يبقى من حق روسيا إيصال روايتها إلى العالم، ومن حقّ جميع الشعوب الإطلاع على أكثر من رواية

واحدة. لكن ما حصل في هذه الحرب، أن السائد هو وجهة نظر واحدة تجسّد الإنحياز الغربي المطلق لأوكرانيا، في المقابل تغييب الرواية الروسية، فما يشاهده العالم اليوم سواء بالنسبة للتطوّرات الميدانية والأهداف العسكرية يعكس السردية الغربية المتمثلة بخلق رهاب عالمي من روسيا «النووية» و«الإمبراطورية المتمدّدة»، فضلاً عن بثّ زخم كبير من المعلومات بشأن «هزائم» الجيش الروسي، وتضليل الرأي العام.

تغييب الرواية الروسية، برز في حجب القنوات التلفزيونية والمواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي، التابعة لموسكو. فقد أعلنت النسخة الفرنسية من قناة «روسيا اليوم»، توقّفها عن البث تنفيذاً لقرار أصدره «الإتحاد الأوروبي»، فيما تحدّثت وكالة «سبوتنيك» الروسية للأنباء عن تعرّضها لـ«هجمات إلكترونية واسعة النطاق في ثلاثين موقعاً في العالم». «يوتيوب» أوقف بثّ القنوات الروسية الرسمية على الإنترنت، فيما توقّف «تيك توك» عن العمل في روسيا. والمفارقة أن «فايسبوك» سمحت للمستخدمين بنشر خطاب الكراهية والقتل بحق الجنود الروس وبحق كلّ من «فلاديمير بوتين»، والرئيس البييلاروسي «ألكسندر لوكاشينكو». أما «غوغل» فقد ذهبت أبعد من ذلك لتعلن تعليق إمكانية جني عائدات الإعلانات والمشاهدات على مختلف منصّاتها بالنسبة الى وسائل الإعلام الممولة من الدولة الروسية.

### الهيمنة الإعلامية

تندرج ممارسات الدول الجائرة في تغطية الحرب الروسية - الأوكرانية ضمن استراتيجية «القوة الناعمة»، وهو مصطلح يشرحه «جوزيف ناي»، بروفيسر العلوم السياسية في جامعة «هارفارد» بأنه: «قدرة الدولة على تحقيق الجذب والتأثير من دون إجبار وإكراه». وهذا التأثير المنشود يتحقّق عادةً من خلال الإعلام الذي يحتلّ مكانة مميزة في قلب مفهوم «القوة الناعمة»، بسبب قدرته الكبيرة على التأثير في الرأي العام.

أما بالنسبة لأبرز الأدوات المستخدمة لتحقيق الجذب والتأثير، فهي: **تناقض الحقائق**، إذ إن وسائل الإعلام قد تنشر تقارير مزيفة ومغايرة للواقع بشكل مستمر ومتواصل، لترسيخ صورة ذهنية

معينة في إدراك الجمهور. **المصطلحات الفضفاضة وتعني انتشار المصطلحات التي قد تحمل أكثر من معنى، ومحاولة إصاق الاتهامات بفئة معينة، مثل اعتماد مصطلح «الغزو الروسي» مقابل «المقاومة الأوكرانية» في تغطية الحرب بين روسيا وأوكرانيا. التكرار وهو إعادة بث الأكاذيب بطريقة منظمة حتى تثبت في الوجدان. بالإضافة إلى الإنتقاء أي اختيار قول الحقيقة أو تلوينها على حسب ما تقتضيه مصلحة القوى التي ترغب في تكوين وعي مجتمعي جديد. علاوة على ثقافة السخرية، فقد أصبح نشر حسّ التهكم والسخرية من المشروعات القومية شعار الإعلام الدولي للتقليل من شأن أي إنجاز محلي، وفق ورقة بحثية صادرة عن مجلة «السياسة الدولية» للكاتبة «دينا خليل».**

إذاً، تعكس تغطية الإعلام الغربي لمجريات الحرب بين روسيا وأوكرانيا تزييف الحقائق والإنتقائيّة الواضحة في اختيار المعلومات، مثل التركيز على نشر معلومات مبالغ بها بشأن خسائر الجيش الروسي، في المقابل تجاهل خسائر الجيش الأوكراني. أضف إلى استخدام المصطلحات الفضفاضة التي لا تعطي وصفاً دقيقاً للأحداث مثل مصطلح «الإبادة الجماعية» لوصف الأعمال العسكريّة الروسيّة في أوكرانيا، علماً أنه من الصعب أن تغيب المشاهد الدموية للجرائم الروسيّة عن منصّات الإعلام الغربي ونحن نعيش في عصر الصورة. وهو ما يدحض أسطورة التعددية الإعلاميّة التي كرّسها الإعلام الأمريكي والغربي عامّةً للتحكّم في الإدراك الجماهيري. ففي كتابه «المتلاعبون بالعقول» يقول «هيربرت شيللر»، عالم الاجتماع الأمريكي، إن الإعلام الأمريكي ومن منطلق التحكّم في الإدراك الجماهيري يكرّس بعضاً من الأساطير للتحكّم في مضامين وسائل الإعلام، وهي: «أسطورة التعددية الإعلاميّة، وأسطورة الحياد والموضوعيّة، وأسطورة الفرديّة والاختيار الشخصي، وأسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة، وأسطورة غياب الصراع الاجتماعي». أما في حالتنا فنعاين أسطورتين في الحرب الإعلاميّة الغربيّة وهما «التعددية الإعلاميّة» و«الحياد والموضوعيّة»، ذلك أن الإنحياز الواضح للجانب الأوكراني بات فاقعاً حين تُسخرّ مئات وسائل الإعلام الغربيّة لنقل وجهة نظر الرجل الأبيض بكثير من الإثارة العاطفيّة، مقابل حجب الرأي الآخر. فعلى سبيل المثال، ثمة أعداد كبيرة من

المدنيين قتلوا في «دونباس»، حيث تشن القوات الأوكرانية هجوماً على الإقليم الانفصالي منذ بدء الحرب، لم يرد لهم ذكراً في الإعلام الغربي على الإطلاق.

### صورة الجيش الروسي "المنهزم" في تغطية BBC

بدا لافتاً نشاط شبكة BBC الإعلامية في تغطية مجريات الحرب بين موسكو وكيف لناحية الكم الهائل من المعلومات التي تُقدّم للمتابعين على مدار الساعة، لا سيما عبر تقارير مكتوبة ومصوّرة وتغطية مباشرة ونشرات أخبار، في مسار واضح لتوجيه المحتوى بالشكل الذي يطابق رؤية الحكومة البريطانية، فضلاً عن تضليل الحقائق ونشر أرقام ووقائع غير موثقة تُنسب عادةً إلى مصادر غير دقيقة مثل «مسؤولين أوكرانيين».

نشرت الشبكة تقريراً مصوراً بعنوان: «جرائم اغتصاب النساء في الغزو الروسي لأوكرانيا»، في 12 نيسان/ أبريل 2022 تُسند فيه اتهامات للجيش الروسي أنه يغتصب نساء أوكرانيات. يقوم التقرير على شهادة امرأة خمسينية مجهولة الهوية، في محيط العاصمة كييف، تقول السيدة إن مجموعة من الجيش الروسي كانت واقعة تحت تأثير المخدرات والكحول، اقتحمت منزلها، وقتلت زوجها ثم تناوبت على اغتصابها. وفي نفس الفيديو تشارك مفوضيّة حقوق الإنسان في البرلمان الأوكراني المعنية بمتابعة هذا الملف، وتؤكد أن النساء اللواتي تَبَلَّغَت تعرضهن للاغتصاب بلغت أعمارهن بين الـ14 والـ24 عاماً، وهو ما ينفية الجانب الروسي.

في مسعى لإحياء «الروسيا فوبيا» (الرُهاب من روسيا)، القديمة في الثقافة الأوروبية الغربية، نشرت BBC أيضاً تقريراً مصوراً في 28 شباط/ فبراير، بعنوان "Putin puts Russia's nuclear weapons on high alert" أثهمت فيه روسيا بالاستعداد لاستخدام السلاح النووي. الاتهام بني على تصريحات لـ«بوتين» حذّر فيها كل من يحاول إعاقة العمليّة العسكرية الروسية، من غير أن يشير إلى السلاح النووي بأي شكل.

أيضاً بثّت الشبكة أخباراً بشأن توجّه مقاتلين سوريين للقتال في روسيا مقابل مبالغ مالية. ففي مقطع فيديو بعنوان «كم يتقاضى المرتزقة السوريون في روسيا؟» نُشر في 31 مارس/ آذار

الفائت، يظهر شخص مجهول الهوية يقول إنه جندي سوري، ويُعلن أنه «ذاهب للقتال في روسيا بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية في سوريا، رغم علمه أنه قد لا يعود من الحرب»، ثم يتهم التقرير روسيا بأنها غير مستعدة لتقديم جنود روس. وللمفارقة، فإن الشبكة تروّج طيلة الوقت لسقوط قتلى من القوات الروسية في الحرب. الواقع أنه ليس ثمة دليل بعد على مشاركة الجيش السوري في الحرب الأوكرانية، خصوصاً أن أرقام هواتف المتطوعين السوريين التي نشرتها فصائل المعارضة السورية تبين أنها خارج الخدمة، أما الحسابات التي نشرت هذه المعلومات فهي وهمية، بحسب تحقيق أجرته صحيفة «الأخبار» اللبنانية.

إلى ذلك، روجت BBC للخسائر العسكرية التي تُمنى بها روسيا في أثناء الحرب للقول إنها هُزمت سريعاً. وفي تقرير مصوّر بعنوان “Russian warship destroyed in occupied port of Berdyansk, says Ukraine” روسية وتضرّر قاربان آخران في مدينة «بيرديانسك» نقلاً عن مسؤولين أوكرانيين في 24 آذار/ مارس. وعلى المنوال ذاته سارت الشبكة في تقرير آخر بعنوان “The story of an elite Russian unit's war in Ukraine” نشر في 1 نيسان/ أبريل، زفّت فيه موت قائد فوج المظلات الروسية العقيد «سيرجي سوخاريف» في منتصف شهر مارس، إلى جانب سقوط رؤس أركانه والعديد من الضباط الآخرين. جاء ذلك في إطار الترويج للفشل الروسي في المواجهات العسكرية مع القوات الأوكرانية.

أُتهمت روسيا بأنها تستخدم أسلحة كيميائية من دون أية أدلة تثبت هذه الإدّعاءات، على غرار ما جرى سابقاً مع النظام السوري الذي اتهم باستخدام الكيماوي لقتل المدنيين من دون أدلة واقعية. ورد ذلك في مقطع فيديو نشرته BBC في 12 نيسان/ أبريل بعنوان “US and UK investigating reports of chemical weapons being used by Russia in Ukraine war”.

وفي تقرير نشره موقع BBC بعنوان «روسيا وأوكرانيا: ما هي حيلة الراية الزائفة وما أبرز الأمثلة عليها؟»، في 20 شباط/فبراير، زُعم أن روسيا لجأت إلى هجمات «الراية الزائفة» false flag (مصطلح يشير إلى كل عمل سياسي أو عسكري يتم تنفيذه بقصد إلقاء اللوم على الخصم) لاستخدامها كذريعة لغزو أوكرانيا. وفي التفاصيل، نقلت الإذاعة أن «الإنفصاليين المدعومين من روسيا اتهموا الجيش الأوكراني بشن سلسلة من الهجمات المشكوك فيها للغاية وطالبوا المدنيين في المناطق التي يحتلونها بالرحيل».

أيضاً نشرت الشبكة تقريراً آخر بعنوان “Bucha killings: I wish they had killed me too” في 6 نيسان/أبريل، يزعم بالكثير من الدراما والتشويق أن القوات الروسية اقتحمت البوابات الأمامية لمنزل أحد المواطنين الأوكرانيين، أخرجوا زوج ابنته من المنزل ثم قتل وجرى رمي قنبلة يدوية على المنزل. يزعم التقرير أنه واحد من المئات الذين قتلوا بهذه الطريقة، علاوة على ذلك، وجد قبر جماعي في أرض تابعة لكنيسة في بوتشا، في حين أن القوات الروسية أعلنت مغادرتها مدينة بوتشا في 3 نيسان، وبعدها وصل جهاز الأمن الأوكراني إلى المدينة. فيما أكدت وزارة الدفاع الروسية، أنّ الصور ومقاطع الفيديو في مدينة بوتشا أعدت خصيصاً لوسائل إعلام غربية، ووصفتها بأنها «ليست سوى استفزاز جديد».

الشبكة البريطانية نشرت أيضاً تقريراً مكتوباً بعنوان “Why has Russia invaded Ukraine and what does Putin want?” هو اجتياح أوكرانيا وإقالة حكومتها، وأن موسكو ترتكب إبادة جماعية بحق الشعب الأوكراني، ونشر في 18 نيسان/أبريل. فيما خلاص تقرير آخر بعنوان “Ukraine: What have been Russia's military mistakes” نشر في 19 آذار/مارس 2022، إلى تدهور إمكانات القوة العسكرية الروسي ووصف الأداء الروسي في المعركة بأنه «كئيب». أيضاً اتُهمت روسيا بأنها بالغت في تقدير قوتها العسكرية، وها هي تتكبد الخسائر.

## استنتاج

الواضح أن روسيا تواجه حرباً إعلامية غير مسبوقه مع الغرب على خلفيّة الأزمة الأوكرانية. ورد ذلك عن لسان وزير الخارجية الروسي «سيرغي لافروف» الذي أكد في اجتماع مع ممثلي منظمات أهلية روسية في موسكو بتاريخ 10 نيسان أن سياسة العقوبات غير الشرعية ومحاولات معاقبة روسيا بسبب دفاعها عن الحقيقة والعدالة وحماتها مواطنيها أدت إلى نشوء أزمة خطيرة في العلاقات بين روسيا والغرب. وأضاف الوزير الروسي أن جهوداً غير مسبوقه تبذل من أجل تشويه صورة روسيا وسياستها. وفي محاولة لمواجهة التضليل الإعلامي، اقترحت روسيا في الأمم المتحدة بدء العمل في وضع استراتيجية لمكافحة التضليل في وسائل الإعلام وإدراج الأحكام المناسبة في قرارات الجمعية العامة. وقالت المتحدثه الرسميه باسم وزارة الخارجية الروسية، «ماريا زاخاروفا»: «مثل هذا الحشو من التضليل الإعلامي يماثل تماماً من ناحية مدى الضرر الذي يلحق بالبيئة، جراء الأوبئة الفيروسية. وكما في منظومة محاربة أي وباء ينتقل عبر الحدود، يتطلب إستراتيجية لمواجهة هذا التهديد على مستوى فوق الوطني».

يتصل ذلك كله بالإجراءات الاقتصادية العدوانية ضد روسيا، بسبب حربها مع أوكرانيا. إجراءات فرضتها مجموعة الدول الجائرة: الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا وسويسرا وعدد من الدول الآسيوية، بالإضافة إلى 27 دولة ضمن الإتحاد الأوروبي. تتنوع الإجراءات ما بين حظر الصادرات النفطية، وتكبير القطاع المصرفي، وحظر الطيران، ومنع شركات الدول الكبرى من التعامل مع السوق الروسية، وصولاً إلى مصادرة أملاك أثرياء روس، وفرض عقوبات مباشرة على المليارديرات والنواب والدائرة المحيطة بالكرملين وصولاً إلى الرئيس الروسي شخصياً. الإجراءات العدائية طالت جوانب أخرى، فعلى الصعيد السينمائي، أعلن منظمو «مهرجان كان السينمائي» أنهم لن يستقبلوا وفوداً روسية في الدورة 75 المُزمع عقدها بين 17 و28 أيار (مايو) المقبل، في حال لم تتوقف الحرب، أو لم تُحسم لصالح الشعب الأوكراني. من جهتها، أعلنت شركة «وورنر ميديا» أنها ستجمّد عرض فيلم «باتمان» في الصّالات الروسية، وخذت حذوها شركتا «ديزني» و«سوني بيكتشرز»، ثم لحقت بهما شبكة «نتفليكس»، وأعلنت



عن فضّ الإتفاق مع التلفزيون الروسي الذي ينصّ على توزيع قنوات تلفزيونية روسيّة بشكل مجاني في البلاد.

يمكن مقارنة الحرب الإعلاميّة الحاليّة التي تتعرّض لها روسيا بتلك التي عاشتها سوريا من قبل. ففي مقالٍ بعنوان A Useful Prep-sheet On Syria For Media Propagandists كشف الصحفي الأميركي «غازي لوب» كيفيّة التلاعب بالرأي العام في أثناء الحرب على سوريا من خلال بثّ المعلومات الكاذبة. يطرح الكاتب مثلاً عن مزاعم استخدام الرئيس بشار الأسد «البراميل المتفجّرة» ضد الشعب السوري، والتي أدّت وفق الدعاية الغربيّة إلى مقتل 200000 مدني (قدّرت الأمم المتحدة أن 220.000 قتلوا في الأزمة السوريّة منذ عام 2011 حتى 2015). يعلّق الكاتب ساخراً على رقم ضحايا «البراميل المتفجّرة» قائلاً: «تظاهر وكأنك تصدّق أنه بالفعل هذا هو الرقم الحقيقي لضحايا الحكومة السوريّة، لا تقلق بشأن أي حاجة لدعم الرقم، لن يتّصل بك أحد علناً على الإطلاق»، ويضيف الصحفي الأمريكي «لا تذكر أن حوالي نصف قتلى الحرب (تتراوح التقديرات بين 84000 و 133000) هم من قوات الحكومة السوريّة التي تشن حرباً ضد معارضة ذات أغليبيّة متشدّدة، وأن 73000 إلى 114000 مقاتلون مناهضون للحكومة».

إذاً، تظهر سرديّة «الجيش الروسي المنهزم» كأحدى الأسلحة التي يستخدمها الإعلام الغربي في الحرب النفسيّة على روسيا، وهو ما أظهر أن الحرب الحقيقيّة هي ليست عملية عسكريّة هنا أو هناك، إنما هي الإطباق المحكم على دولة وشعب كامل. يحدث ذلك كلّه، في الوقت الذي لا تزال فيه الرواية الروسية مطمورة، نتيجة سياسة الحجب الممنهجة، لتسقط بذلك كافة ادّعاءات الغرب بشأن تعدّدية الآراء وحرية التعبير، وليبدو بوضوح «غرب الرأي الواحد».